

دور جهاد التبیین في ديمومة الثورة في فكر الإمام الخامنئي قدس سره

■ محمد علي بردی^(١)

ملخص

لا يخفى أنّ لجهاد التبیین أهمیّة كبيرة في المنظومة الفكریّة للوليّ الشّهِيد الإمام (الخامنئي) قدس سره، فهو يرى أنّ یأس الأعداء من إسقاط النّظام الإسلاميّ لم یثبته عن المحاولة المستمرة للتّفوذ والتّوغّل داخل الجمهوریّة الإسلاميّة. والتّبیین الذي یعده القائد جزءاً أساسیاً من استراتيجیّات العمل الثّوريّ منذ بداية الثورة یزداد قيمة وضرورة كلّما اشتدّت هذه المحاولات التي تستهدف عقول الشّعوب بهدف القضاء على عقائد النّاس ومبادئهم وروحهم الثّوريّة الباعثة على رفض الهيمنة والاستكبار. أمّا الثورة فهي حركة مستمرة لا تنتهي حتى تحقّق أهدافها النّبيلة وآثارها الجلیلة، غير أنّها تحتاج في استمرارها وديمومتها إلى التّبیین الواعي والفعال والمستند إلى أصول فکریّة وعملیّة. سنتناول في هذا البحث أصول التّبیین ومساره في حياة الإنسان، ومن ثمّ سننتقل إلى بیان الخارطة العملیّة لهذا الجهاد الفکريّ بما یحقّق ديمومة الثورة.

الكلمات المفتاحية: الخامنئي، العقل، الجهل، الثورة، التبیین، الصّحوة، الرّوح الثّوريّة، الحضارة الإسلاميّة.

١ - باحث وكاتب من لبنان.

Role of Clarification (al-Tabyin) in Perpetuation of Revolution

■ Mohammad Ali Barda⁽¹⁾

Abstract

It is no secret that Jihad al-Tabyin has great importance in the intellectual system of the martyred Sayyid Khamenei (QS). He believes that the enemies' despair of overthrowing the Islamic regime did not deter them from their continuous attempt to gain influence and penetrate within the Islamic Republic. Clarification, which the leader considers an essential part of the strategies of revolutionary action since the beginning of the revolution, increases in value and necessity the more these attempts intensify, targeting the minds of the people with the aim of eliminating the people's beliefs, principles, and revolutionary spirit that motivates the rejection of hegemony and arrogance. As for the revolution, a continuous movement does not end until it achieves its noble goals and great effects. However, in order for it to continue and endure, it requires conscious and effective clarification based on intellectual and practical principles. In this research, we will discuss the principles of clarification and its path in human life, and then we will move on to explaining the practical map of this intellectual jihad in a way that achieves the sustainability of the revolution.

Keywords:

Khamenei (QS), Reason, Ignorance, Revolution, Clarification, Awakening, Revolutionary Spirit, Islamic Civilization.

1 -A researcher and writer from Lebanon.

المقدمة

بينما يصحّ القول إنّ التبیین قد يكون دينياً وسياسياً من حيث الموضوع، فإنّه يبقى في حدّ ذاته وظيفة اجتماعيّة، وذلك لأُمور متعدّدة. فإنّ الذين أُوكلت إليهم هذه الوظيفة من المعلّمين والعلماء والفنّانين وغيرهم يشكّلون المجتمع في نهاية الأمر. وآثار التبیین وثماره بل وأضراره اجتماعيّة، وأساليبه ومنهجيّاته وضوابطه اجتماعيّة. والأهمّ من جميع ذلك، بحسب مباني نظريّة الحضارة الإسلاميّة ومقتضياتها، هو أنّ الهدف الأساس من جهاد التبیین هدف اجتماعي، إذ إنّ جهاد التبیین هو جهاد فكريّ يتضمّن بيان الحقائق والتّوعية والتّوضيح وردّ الشّبهات، وغايته رفع مستوى البصيرة في المجتمع. ولهذا الجهاد مدخليّة كبيرة في الحركة الثّوريّة للإنسان، والتي بدورها سيتبيّن ضمن البحث أنّها حركة متواصلة مستمرة يلازمها وجوب التبیین ويرافق صاحبها كيفما دار.

موضوع هذا البحث هو دور جهاد التبیین في ديمومة الثّورة الإسلاميّة على ضوء فكر القائد الفريد والوليّ الشهيد السيّد (عليّ الحسينيّ الخامنئي) أعلى الله مقامه. وسينقسم الكلام حول هذا الموضوع إلى محورين:

أولاً: أصول التبیین ومساره في حياة الإنسان،

ثانياً: الخارطة العمليّة لجهاد التبیین من أجل ديمومة الثّورة.

أولاً: أصول التبيين ومساره في حياة الإنسان

سننطلق في بحثنا حول هذا الموضوع من مقتطفات من رواية شريفة مليئة بفوائد لطيفة على اعتبار أنها توفر مقدمة رائعة لهذه النظرية التي كان قد طرحها القائد وتحدث عنها مطوَّلاً قبل صدور كتاب «جهاد التبيين» سنة ٢٠٢٢ وبعده. ففي الواقع، إنَّ الحديث عن التبيين وموقعيته من الثورة واستمرارها هو حديث عن مسيرة الإنسان وانتقاله من الجهل إلى العقل، ومن الظلام والشقاء إلى المعرفة والسعادة.

١ - العقل والجهل

رُوي عن الإمام (أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم) عليه السلام، قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحُجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلَّهم على ربوبيته بالأدلة [...] إنَّ لكلَّ شيء دليلاً ودليل العقل التَّفَكُّر [...] إنَّ لله على النَّاس حُجَّتَيْن: حُجَّة ظاهرة وحُجَّة باطنة، فأما الظَّاهرة فالرُّسُل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»^(١).

من هذه الرواية نستطيع أن نفهم بشكل أدقَّ ما للعقل من أهميَّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وما له من دور في هداية البشر. والمتتبع لخطابات الوليِّ الشَّهيد والمتنفع من دروسه وبياناته يجد أنَّه يركِّز كثيراً على هذا الأمر، حتَّى يبدو لي أنَّه أصل في منظومته الفكرية، ومن ركائز الخلفيَّة النظرية لقضيَّة التبيين. يقول في هذا المجال: «العقل هو الذي يهدي الإنسان إلى الدِّين ويدفعه نحو الدِّين، وهو الذي يحضُّ الإنسان على عبوديَّة الله. العقل هو الذي يصدِّ الإنسان عن الأعمال السَّفيهة والجاهليَّة، والتَّكالب على الدُّنيا؛ هذا هو العقل»^(٢). فالعقل يثرِّر في الفهم وفي الرُّشد وفي السُّلوك وغير ذلك. ويقول أيضاً مشيراً إلى الرواية المعروفة: «العقل ما عبَّد به الرَّحمن

١ - محمَّد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ١، ص ١٣-١٦، كتاب العقل والجهل، ح ١٢.

٢ - عليّ الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص ٣٢٩.

واكتسب به الجنان، هذا هو العقل»^(١).

وأما الجهل، فمن الواضح أنّ عدم معرفة الله تبارك وتعالى هو السبب الأول في شقاء الانسان، لأنّ عدم معرفته يعني عدم معرفة حقّه، وعدم معرفة حقّه يؤدّي إلى عدم عبادته، إنّ على الصّعيد الفرديّ أو على صعيد المجتمع، ويفسح المجال لغير أحكام العقل والفترة بملء فراغ الجهل بالغفلة والتّعصّب والخرافات والأغراض الشّخصيّة والمظاهر الخاوية، والشّياطين كافّة، كما هو الحال في المجتمع المشرك^(٢). فالجهل يمنع الإنسان من انطلاقته الأولى نحو التحرّر من قيود الشّرك، ويبقيه في حالة الجاهليّة والفتنة والشّقاء التي أعطاه الله سبحانه وتعالى العقل من أجل تخليصه منها. وتعبير الوليّ الشّهيد: «الجاهليّة تقف في مواجهة العقل»^(٣). وهذه كانت صورة المجتمعات الجاهليّة كما يصفها القائد: «النّاس في تلك الفتره يكونون أسرى فتن تدوسهم بحوافرها كالحيوان البريّ الهائج الذي يرفس بقدميه، وتدهسهم بأظلافها. وتكون الفتنة آنذاك كالحيوان الظّافر الذي داس فريسته تحت قدميه وهو شامخ برأسه، إذ كانت الفتنة تشمخ برأسها بعد سحق النّاس، وهم فيها ضائعون، محتارون، جاهلون، مخدوعون»^(٤).

لكن لا يفوت من تأمل ولو قليلاً في حال البشريّة اليوم أنّ هذه الجاهليّة لم ترتفع بالكامل، ومن السّفاهة الادّعاء أنّ ما هو متوفّر اليوم من التّطوّر العلميّ والتّكنولوجيّ أمانة على ارتفاع الجهل والفتن والتّفاق وغيرها من ملامح المجتمعات الجاهليّة، لا سيّما إذا أصبح ذلك التّطوّر في خدمة تلك الجاهليّة، فيكون العقل حينئذٍ ما عبّد به الشّيطان واكتسبت به التّيران. بل الأمر كما عرفت، وكما يؤكّد القائد الشّهيد: فإن ساد العقل على حياة البشر، ستكون الحياة طيّبة سعيدة، وإن لم يكن العقل هو السّائد، «فستحترق البشريّة في موقد مستعر من التّعاسة والشّقاء، الأمر

١ - عليّ الخامنئي: خطاب الوليّ (٢٠١٨)، ص ٤٠٣.

٢ - عليّ الخامنئي: ثورة الأنبياء، ص ١٧٧.

٣ - عليّ الخامنئي: خطاب الوليّ (٢٠١٦)، ص ٣٤١.

٤ - عليّ الخامنئي: ثورة الأنبياء، ص ١٠٠.

الذي شاهدناه على مدى التَّاريخ، وهذا ما نشاهده اليوم أيضاً»^(١). إذًا، العقل هو الأداة التَّبَيِّنِيَّةُ الأولى في حياة الإنسان وحركته الثَّورِيَّة.

٢ - تبيين الأنبياء والرُّسُل ﷺ

لكنَّ الوليَّ الشَّهيد كان يشير كثيرًا إلى أنَّ العقل لا يستطيع أن يدرك الحقيقة من دون التَّعليم النَّبَوِيِّ، وأنَّه يجب أن يكون مدعومًا ومستظلًّا بظلِّ هداية الأنبياء ﷺ، وأنَّ الأنبياء ﷺ هم الذين «يأخذون بيد العقل الإنسانيَّ ويهدونه ويرشدونه ليقطع بالقدرات التي حباه الله بها درب الحياة الصَّعب هذا، ويكشف للإنسان حقائق العالم»^(٢). وهم الذين يُخرجون النَّاسَ من حالة عدم التَّمييز بين الحقِّ والباطل واختلاطهما في أذهانهم، وينقذونهم من بلاء الفتن السَّائدة في مجتمعاتهم، وذلك عبر استدلالهم المُحكِّمة والواضحة وعملهم على تغذية عنصر الإدراك والتَّشخيص والمعرفة الذي يعبر عنه القائد الشَّهيد بأنَّه أهمُّ عنصر للحركة في التَّاريخ والمجتمع وأكثرها جذريَّة^(٣).

بل هذا ما اقتضته الحكمة الإلهيَّة كما ذكرت الرواية التي انطلقنا منها، ولهذا بُعث الأنبياء والرُّسُل ﷺ. إذ نصَّت الرواية على أنَّ الله جلَّ وعلا «نصر التَّبَيِّنَ بالبيان»، أي إنَّ الله تبارك وتعالى قد نصرهم بأن أقدرهم ﷺ على إبانة الحقائق وإتمام الحُجَّة وردِّ الشُّبهات، فكان الأنبياء والرُّسُل ﷺ جبهة عقليَّة توحيدية في مواجهة الجبهة الجاهليَّة المشركة، وحركة ثوريَّة تحريريَّة للإنسان الحائر والمغفل في ظلِّ عدم معرفة الله جلَّ وعلا. فكان من الطَّبِيعِيِّ حينئذٍ أن يكون «التَّبَيِّن والبيان أهمَّ واجبات الأنبياء. أعداء الأنبياء يستغلُّون حالات الجهل وكتمان الحقائق

١ - عليَّ الخامنيّ: خطاب الوليِّ (٢٠١٦)، ص ٣٤١.

٢ - عليَّ الخامنيّ: خطاب الوليِّ (٢٠١٦)، ص ٣٤٠-٣٤١.

٣ - عليَّ الخامنيّ: جهاد التَّبَيِّن، ص ٧٧.

٤ - عليَّ الخامنيّ: ثورة الأنبياء، ص ١٢٨.

ويتسترون خلف ستار التفاق. الأنبياء يشقون ستار الجهل والتفاق [...] وقد جاء الأنبياء ليدعوا الناس إلى التعقل ويحثوهم على التفكير والتدبر»^(١).

إذاً، كان لا بُدَّ من بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام من أجل رفع الجهل وإعادة الناس إلى أحكام العقل والفطرة، وإيصالهم إلى الرشد والسلامة الفكرية والنفسية، وإقامة الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة. وهذا متوقف على تبليغ الرسالة، وهو بتعبير السيّد الشهيد: «الأساس لجميع أنشطتهم»^(٢). وسيُتضح السرُّ في ذلك.

٣ - التبیین عند أهل البيت عليهم السلام

أمّا قيام أهل البيت عليهم السلام بجهاد التبیین، فهو في غاية الوضوح لمن نظر في سيرتهم. وقد ذكر الوليّ الشهيد أنّه مع وجود أحداث متضاربة في سيرهم فمع ذلك يبقى المُستفاد من مجموعها وجود خطّ فكريّ وعمليّ يربط بينها بشكل بارز. ويصف هذا الخطّ بأنّه «خطّ كفاح الأئمة عليهم السلام الذي اتخذ أشكالاً مختلفة على مدى ٢٥٠ عاماً واستمرّ ليكون هدفه هو تبیین الإسلام الأصيل والتفسير الصحيح للقرآن وتقديم صورة واضحة عن المعرفة الإسلامية، وثانياً تبیین مسألة الإمام والحاكمة السياسيّة في المجتمع الإسلاميّ، وثالثاً الجهد من أجل تشكيل ذلك المجتمع وتحقيق هدف الرسول الأعظم ﷺ والأنبياء عليهم السلام كافة»^(٣). ومن فوائد كلامه هنا أنّه ذكر معالم التبیین لهذا الخطّ المستمرّ، وهو محلّ بحثنا.

لكن، بشكل إجماليّ، لا يخفى أنّ تراثهم الشريف وكلماتهم المأثورة مليئة بتفسير القرآن الكريم وتأويله، وبيان مرادات أقوال بعضهم بعضاً، والكشف عن الحكّم من أفعالهم في مختلف الظروف

١ - عليّ الخامنئيّ: خطاب الوليّ (٢٠١٦)، ص ٣٤٠.

٢ - عليّ الخامنئيّ: ثورة الأنبياء، ص ١٩٢.

٣ - عليّ الخامنئيّ: جهاد التبیین، ص ٧٩.

والمراحل. كل ذلك دفعاً لاشتباه شيعتهم وما قد ينشأ من انطباعات غير متناسبة مع الاعتقاد السليم بهم وبمقاماتهم وأهدافهم (عليه السلام). فحياتهم كانت مليئة بهذا الجهاد الفكري، أي التبيين، وهو يشمل ما وصلنا من أدعيتهم (عليه السلام) التي فيها من المعارف الإلهية والحقائق الدينية ما لا يُحصى، حتى أن القائد ذكر كون التبيين من أهداف هذه الأدعية، لئلا يشتبه الأمر على أحد فيظن أنها عبادية فحسب^(١). ثم في حين أنه قد لا يُلتفت عادةً إلى أهمية رسائل الأئمة (عليهم السلام) في مجال التبيين، يشير القائد الشهيد إليها في حديثه عن رسالة الإمام (زين العابدين) (عليه السلام) التي أرسلها إلى (محمد بن شهاب الزهري)، ويُلَفَت إلى دلالات اللفظة التي تكلم بها الإمام (عليه السلام)؛ هذه الرسالة التي تتجلى فيها روح الإسلام وتبين حقيقة الحركة التي قام بها الإمام (السَّجَّاد) (عليه السلام) في زمانه، كما تبين موقفه من العلاقة بين العلماء والسلطة. يقول القائد: «في هذه الرسالة الشديدة اللفظة والبلغة يفصح الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) هذا التيار الفكري والعلمي التابع للسلطة والحكم والذي يتحرك بدعم سياسي وحكومي اجتماعي»^(٢). ثم يذكر الولي الشهيد تأثير هذا الأسلوب من قبل الإمام (زين العابدين) (عليه السلام) فيقول: «فأولئك الذين قبلوا مهادنة النظام أصبحوا مطالبين بالإجابة عن السؤال الذي بقي في المجتمع الإسلامي في ذلك الزمان وسوف يبقى عبر التاريخ»^(٣). ومن قيامهم (عليهم السلام) بهذا الجهاد أيضاً: ما ورد في كتب الحديث والتاريخ من خطبهم (عليهم السلام)، ولذا يتحدث القائد الشهيد عن جدته الصديقة الشهيدة (عليها السلام) واهتمامها بجهاد التبيين، حسبما ورد في سيرتها العطرة، فيقول: «إن كل حياتها سلام الله عليها وخاصة الفترة القصيرة من حياتها بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهدت التبيين المستمر للحقائق وأسس الدين المحكمة»^(٤).

١ - علي الخامني: تفسير سورة براءة، ص ٦٧٤.

٢ - علي الخامني: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص ٣٠٦.

٣ - المصدر نفسه: ص ٣٠٦.

٤ - الإمام الخامني في لقاء جمع من مدّاحي أهل البيت (عليهم السلام)، ٢٢/١٢/٢٠٢٤، مأخوذ من،

وكذلك يتحدث عن الدور التبییني لابنتها عقيلة بني هاشم السيّدة (زينب) (عليها السلام) بعد واقعة الطفّ، مشيراً إلى أهميّة ما قامت به بإلقائها خطبتها المشهورة حيث يقول: «خطبتها التي لا تُنسى في أسواق الكوفة لم تكن كلاماً عادياً، ولا موقفاً عادياً لشخصيّة كبرى، بل بيّنت بتحليل عظيم أوضاع المجتمع الإسلاميّ في ذلك العصر بأجمل الكلمات وأعرق وأغنى المفاهيم في مثل تلك الظروف»^(١). ثمّ يؤكّد القائد ما لقيامها بهذا التبیین من تأثير في استمراريّة السلسلة من الأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) وديمومة الثورة وبقائها بعد حادثه عاشوراء، فيقول إنّها كانت «تبين علل الثورة النبويّة والثورة العلويّة»^(٢)، وإنّه «عندما يُقال إنّ الدّم انتصر على السيّف في عاشوراء وفي واقعة كربلاء، وهو كذلك، فإنّ عامل هذا الانتصار هو زينب (عليها السلام)»^(٣).

٤ - تبين العلماء والمبلّغين

بعد الأنبياء والأئمّة (عليهم السلام)، يأتي الدور التبییني للعلماء والمبلّغين. وكما أنّ الأساس في جميع أنشطة الأنبياء (عليهم السلام) ومحور حركتهم الثوريّة كان تبليغ الرّسالة الإلهيّة، فإنّ محور أنشطة العلماء والمبلّغين هو التبليغ الدينيّ. لكن ما المقصود من التبليغ؟ هل هو وسيلة أو غاية؟ لا ينبغي الشكّ بعد كلّ ما تقدّم أنّ التبليغ وسيلة في واقع الأمر، وحينئذٍ هناك سؤال يطرح نفسه، وهو: ما هي غايته؟ ويجب القائد الشهيد عن هذا السؤال حيث يقول للعلماء والمبلّغين إنّ الهدف من التبليغ - بعد نيل رضا الله سبحانه وتعالى - والرّسالة التي في ذمتهم هي تبين حقائق الإسلام للناس^(٤). بل يؤكّد أنّ «أكبر وأنفس وأعلى وأثمن أمانة وضعها البارّي تعالى في رقابنا هي المعارف والحقائق الإلهيّة»^(٥).

١ - علي الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص ٢٣١

٢ - المصدر نفسه: ص ٢٣٣

٣ - المصدر نفسه: ص ٢٣٠

٤ - علي الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص ٦٧٩

٥ - علي الخامنئي: الذين يبلّغون، ص ١٣٩

ثمَّ تدور سائر وظائف العلماء ومجالات التبيين مدار هذه الحقائق المتمثلة بالرسالة الدينية. هنا يوضح القائد أمراً مهماً يتعلق بمساحة التبليغ الديني إذ يقول: «الخطأ الذي وقع فيه المبلِّغون في السابق أنهم كانوا يُنحَوْن السياسة جانباً عند التبليغ، ويحصرّون العبودية بالدائرة الفردية والشخصية. فهمهم وتصرفهم هذا كان خاطئاً. أجل، إنّ الهدف هو دعوة الناس إلى العبودية. لكن العبودية تشمل مساحة واسعة من حياة الإنسان ولا تقتصر على دائرة العمل الشخصي»^(١). ولا بُدَّ من التنبيه إلى أنّ إيراد هذه القضية والتأكيد عليها ضمن كلامنا حول الأنبياء (عليهم السلام) والعلماء هدفه دحض مساعي العلمانيين واللا دينيين الذين يعملون على الفصل بين وظائف الأنبياء (عليهم السلام) الدينية ووظائفهم السياسية والاجتماعية، فكما فعلوا ذلك مع الأنبياء (عليهم السلام) فهم مستمرّون في اعتماد هذا الأسلوب مع العلماء. وسيأتي تفصيل ذلك ضمن الحديث عن أهداف العدو. لكن بالعودة إلى ما حقّقناه في مقدّمة البحث من أنّ التبيين في الأصل هو وظيفة اجتماعية، نستطيع إثبات أنّ التبليغ الديني هو الأساس في تبيين العلماء والمبلِّغين، لأنّ القائد يصرّح بأنّ عدم تبليغ الرسالة الإلهية في مجتمع ما أو كون تبليغها متعزّراً ومتوقّفاً في ذلك المجتمع يكشف أنّه ليس مجتمعاً إسلامياً^(٢)، وبالتالي يكون التبليغ الديني شرطاً في صيرورة المجتمع المشترك مجتمعاً إسلامياً، وهو المطلوب.

٥ - تبيين المعلمين

لا يمكن الحديث عن دور التبيين في ديمومة الثورة من دون ملاحظة رؤية الوليّ الشهيد اتجاه المعلم ودوره وموقعيته في استمرارية الثورة؛ فالقائد كان يعتقد بأنّ كلّ العظماء والشهداء

١ - علي الخامنيّ: جهاد التبيين، ص ٣٤٦.

٢ - علي الخامنيّ: ثورة الأنبياء، ص ١٩٤.

والعلماء والحكماء، وحتى الإمام (الخميني) الراحل مدينون لجميل المعلم^(١). بل كان يصّرح بأنّ «المعلم هو مربّي المحافظين على الثورة الإسلامية»^(٢). وهناك جوانب ومستويات متعدّدة تبين قيمة المعلمين في هذا المضمار، نذكر منها خمسة مستويات بشكل مختصر:

■ على مستوى التربيّة، يرى السيّد الشهيد أنّ تشكيل هويّة الجيل الجديد يكون على يد المعلم وأنّ دوره أقوى حتى من الأسرة والوالدين^(٣).

■ على مستوى مواجهة الأحداث الكبرى، يقول القائد إنّ المعلمين يقومون «فضلاً عن التدريس والعمل بشدّ حيازيم العزم والهمة ويحضرون إلى وسط الميدان عندما تحصل حادثة عظيمة في البلد وتتطلّب تلك الحادثة حضور الناس»^(٤).

■ على مستوى الغزو الثقافيّ، فإنّ هدفه كما يشير القائد هو إفراغ النّظام من مضمونه^(٥)، الأمر الذي من شأنه القضاء على الثورة تماماً. لكن من مؤكّدات أهميّة دور المعلمين في منع ذلك أنّ القائد كان يعتبر التّصديّ للغزو الثقافيّ ومواجهته من وظائف المسؤولين في قطاع التّعليم والمتصدين للشؤون التّعليميّة في البلاد بمختلف المستويات^(٦).

■ على مستوى حفظ آثار الشّهداء ونموذج التّضحية في سبيل الثورة، يوضّح السيّد الشهيد أنّ «الخصوصيّة الطّبيعيّة للشّهادة هي إيجاد البركة ورشد الحركة واستمرارها

١ - علي الخامنئي: رسالة المعلم، ص ٨٦.

٢ - علي الخامنئي: رسالة المعلم، ص ١٣٤.

٣ - علي الخامنئي: رسالة المعلم، ص ٨٤-٨٥.

٤ - علي الخامنئي: رسالة المعلم، ص ١٠٦.

٥ - علي الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص ٤٠.

٦ - علي الخامنئي: رسالة المعلم، ص ١٠٦.

وتسهيلها نحو التَّسامي والكمال»^(١). ويذكر شاهداً على ذلك يعود إلى أيام الثَّورة وتصدّي المعلّمين لمخطّطات الأعداء اتّجاه المدارس وتقديمهم الشّهداء في تلك الفترة^(٢).

■ على مستوى التّوجيه الحضاريّ، فالمعلّم هو الذي ينمّي «لدى الأحداث والمراهقين روح العمل وروح الاستقلال وطلب العلم»^(٣)، فيكون بذلك أساس نهج الاقتدار والاقتصاد المقاوم وما شاكلهما من المفاهيم المكوّنة لنظرية الحضارة الإسلاميّة، وهو المعنيّ بتعزيز شعور الإيمان بالنّفس لدى المجتمع في مقابل الانبهار بالغرب^(٤)، الأمر الذي له مدخلية واضحة في ديمومة الثَّورة. وبعد كلّ هذا فلا عجب أن يصف القائد الشّهيد دور المعلّمين في ظهور واستمرار الثَّورة بأنّه دور مصيريّ^(٥).

ثانياً: الخارطة العمليّة لجهاد التّبيين من أجل ديمومة الثَّورة

انطلقنا في المحور الأوّل من رواية الإمام (الكاظم) عليه السلام المرويّة في كتاب العقل والجهل من «الكافي» وحاولنا بيان أصول التّبيين ومساره في حياة الإنسان بشكل يعكس السّلسلة المستمرة للثَّورة بوصفها مشروعاً قائماً منذ بدايات الانسان، مروراً بحركة الأنبياء والرّسُل والأئمّة عليهم السلام، ووصولاً إلى يومنا هذا. في هذا المحور، سننطلق من رؤية القائد اتّجاه العدو وأهدافه، ومن ثمّ سنتعرّف على فهمه للثَّورة وأصولها وكيفية حفظها، ودور جهاد التّبيين في ذلك.

١ - عليّ الخامنّي: خطاب الوليّ (٢٠١٠)، ص ٣٤١.

٢ - عليّ الخامنّي: رسالة المعلّم، ص ٥٧.

٣ - عليّ الخامنّي: رسالة المعلّم، ص ١٣٣.

٤ - عليّ الخامنّي: رسالة المعلّم، ص ١٣٠-١٣١.

٥ - عليّ الخامنّي: رسالة المعلّم، ص ١٠١.

فمن هم الأعداء؟ وما هي أهدافهم وجهودهم؟ يقول السيّد الشهيد: «الجماعات التي تحارب اليوم حكومة الجمهوريّة الإسلاميّة هي الجماعات ذاتها التي حاربت النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة؛ أي هي القوى العظمى نفسها، ومنافقو الدّاخل، وأهل الكتاب، والمتنوّرون الكاذبون الخادعون أعداء الثّورة، والمتأمّرون، والعملاء، والطّابور الخامس الأجنبيّ، وبقايا الحكم البائد الذين كانوا يهاجمون من جهة مكّة. فهذه الجماعات كانت بعينها موجودة ذلك اليوم أيضاً»^(١). هؤلاء هم الأعداء، وهم مصدر الخطر على الثّورة واستمرارها، والقضايا التي يثيرونها أو التي لها موضوعيّة في الصّراع الفكريّ والعمليّ بين جبهة الحقّ وجبهة الباطل، وبين جبهة العقل وجبهة الجهل، هي القضايا التي تحتاج إلى تبين بالدرجة الأولى، ليكون المجتمع الإسلاميّ مجتمع العبور من مرحلة إلى أخرى.

أمّا أهداف العدو، فيلخصها القائد بأنّ أولها إسقاط النّظام الإسلاميّ في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والإطاحة به، وثانيها مسح الثّورة وتبديلها، بمعنى تجريدها من مضمونها وسيرتها ومعالمتها ورموزها وجوهرها النّقيّ، وثالثها العمل على دسّ عناصر من ذوي النفوس الضّعيفة فيه والاستفادة منهم^(٢). وهذا التّليخيص الذي أفاده الوليّ البصير نافع جدّاً في منهجة البحث ضمن هذا المحور، لأنّ إفشال أهداف العدو وجهوده متوقّف على جهاد التبیین، لكنّ تحديد أولويّات التبیین ومجالاته وآلياته المطلوبة من أجل مواجهة السّرديّات المضادّة، ومن أجل منع تحجّر الثّورة وركودها، متوقّف على معرفتها. ولهذا لا بدّ من بسط الكلام حولها، واعلم أنّ هذا هو منهج السيّد الشهيد الذي يقول: «في الحقيقة إنّ هجمات أعداء الإسلام هي التي تحدّد لنا اتّجاه تحرّكنا لتفنيدها وكشف زيفها»^(٣).

١ - علي الخامنئي: ثورة الأنبياء، ص ٥٦.

٢ - علي الخامنئي: خطاب الوليّ (٢٠١١)، ص ٢١.

٣ - علي الخامنئي: الذين يبلّغون، ص ٣٩.

الكلام حول الهدف الأول

أمّا فيما يتعلّق بالهدف الأول، فإنّه يُستفاد من كلامه أنّ محور جهود العدوّ هو الإطاحة بالنّظام الإسلاميّ وإسقاطه، فالعدوّ يحارب الجمهوريّة الإسلاميّة بشكل مبدئيّ ويستهدف أصل النّظام، وليست مشكلته مع سائر سياساته وأنشطته وحسب. بالتّالي حفظ النّظام ومنعه من السّقوط هو أوّل ضمانات لاستمرار الثّورة وبقائها. وهنا لا بدّ من الإجابة عن ثلاثة أسئلة:

١ - ما هو نمط التّبلغ الدّينيّ المطلوب من أجل تحقيق التّبين المؤثّر في ديمومة الثّورة؟

إذا كان الهدف الأوّل للعدوّ هو إسقاط النّظام الإسلاميّ، وكان العنصر الأهمّ الذي يقوم عليه النّظام، بحسب كلام القائد، هو «سيادة الإسلام والتّمرّكز على أساس الأصول الإسلاميّة والقرآنيّة الرّصينة»^(١)، وإذا كان القائد يعتبر أنّ هذه حقيقة مؤثّرة تمثّل السرّ وراء انتصار الثّورة^(٢)، فمن الطّبيعيّ حينئذٍ أن يؤثّر هذا الهدف في عمليّة التّبين الدّينيّ، لا سيّما بعد ما مرّ من أنّ التّبين الدّينيّ هو قطب الحركة التّبيّنيّة. فما هو نمط التّبلغ الدّينيّ المطلوب من أجل تحقيق التّبين المؤثّر في ديمومة الثّورة؟ الجواب بحسب توجيهات القائد:

■ طرح الإسلام كمدرسة لتحرير الإنسان: لمّا كان الغرض من التّبين تحقيق الصّحوة التي من خلالها يتحرّر الإنسان والمجتمع من قيود الشّرك والجاهليّة فلازمه أن يجري اعتماد التّبلغ المفضي إلى الحركة الثّوريّة. وهذا له توجيهات مفتاحيّة نجدها في كلمات القائد الشّهيد، إذ يقول: «حين نريد التّبلغ للإسلام ينبغي أن يكون تبليغنا بهذا الهدف: وهو أن نقدّم الإسلام كنظريّة ومدرسة لتحرير الإنسان في مقابل الإلحاد

١ - علي الخامنّي: الثّورة الإسلاميّة، ص ١٠٦.

٢ - المصدر نفسه: ص ١٠٦.

والاستكبار والاستبداد والحكومات الظّالمة. علينا أن نمارس التبليغ للإسلام بهذا العنوان»^(١).

■ طرح الإسلام الشّعبی: كان القائد يعارض طرح إسلام الملوك والسلاطين الذين لا يشبهون جوهر الإسلام المحمّديّ الأصيل الغنيّ بتواضعه والعزیز بقربه من الشّعوب والمستضعفين. يقول: «من اللازم أن نرسم صورة شعبيّة للإسلام. الإسلام دين جاء لإنقاذ البشر، وهو دين بُعث نبيّه من بين الطبقات الكادحة والمستضعفة. يجب أن لا نصوّر الإسلام للناس على أنّه دين المترفين والطبقات المرفهة ودين السلاطين والزعماء والأقوياء. الإسلام دين الناس المتعطّشين للعدالة [...] إنّ الذين يتظاهرون بالإسلام ويتشدّقون به وهم يرتدون الألبسة المذهبة ويحبّون حياة التفرّغ ويدّعون أنّهم ولاة أمر الإسلام وحُماته يجب أن يعلموا أنّهم يعملون للإضرار بالإسلام وأنّهم -بأعمالهم- يُسقطون الإسلام من أعين الجماهير، فالإسلام دين البساطة والودّ والمحبة والأخوة»^(٢).

■ طرح الإسلام الآخذ بمضمون الرّسالة: يقول الوليّ الشّهيد: «لقد طُوي في مدرسة الثورة التي أسسها الإمام [الخميني] بساط الإسلام السّفيانيّ والمروانيّ، إسلام المراسم والمناسك الخاوية، الإسلام المسخّر للظلم والقهر، أي الإسلام الذي تسيرّه أيدي القوى المغيرة على أرواح الشّعوب، وساد الإسلام القرآنيّ والمحمّديّ، إسلام العقيدة والجهاد، إسلام الخصومة للظّالم والعون للمظلوم»^(٣).

■ مواجهة الطّرح العلمانيّ للإسلام: يرى القائد أنّ الوحدة بين الدّين والسياسة «أساس

١ - علي الخامنئي: الذين يبلّغون، ص ٢٧.

٢ - علي الخامنئي: الذين يبلّغون، ص ٣٩-٤٠.

٣ - علي الخامنئي: الأنس بالقرآن الكريم، ص ٧١.

الجمهورية الإسلامية وأساس التَّحَرُّكِ العامِّ للشَّعب»^(١). ومن هنا كان يؤكِّد على أهميَّة مواجهة فكرة فصل الدِّين عن السِّياسة. يقول السيِّد الشَّهيد بشكل صريح: «من أولويَّات التبليغ أن نزيل عن صفحة الإسلام مسألة فصل الدِّين عن السِّياسة، فالإسلام هو ذلك الدِّين الذي عبادته ليست منفصلة عن سياسته، وكلٌّ من يقول بغير ذلك فإنَّه إمَّا أن يكون مغرضًا وخائنًا أو أنَّه جاهل لا يعلم شيئًا»^(٢). ولذا يؤكِّد على وجوب ترسيخ الاعتقاد بحاكميَّة الإسلام في الحياة^(٣).

■ تبين مسألة ولاية الفقيه: لا شكَّ أنَّ موضوع ولاية الفقيه هو من أهمِّ المباحث وأبرز المواضيع التي تحتاج إلى تبين من أجل استمرار الثَّورة الإسلاميَّة؛ فإنَّ الفقيه العادل الأقدر على حفظ وأداء شؤون الرِّعامة هو النَّائب العامِّ للإمام المعصوم في حال غيبته بحسب الفقه الشَّيعيِّ. وبالتالي استمرار المسيرة التَّحرُّريَّة للبشر، فضلًا عن المؤمنين، بحاجة إلى نموذج قياديٍّ هو الأقرب إلى الإمام المعصوم مهما بعد عنه بحكم أنَّ من كان فقيهاً وليس بعادل، أو عادلاً وليس بفقيه، أو ليس بفقيه وليس بعادل فلا يُحرز رضا الشَّارع بتصدِّيهِ. وهذه القيادة تمثِّل امتداداً للمشروع الذي جاء به الأنبياء والأئمَّة (عليهم السلام)، أي مشروع استنقاذ الشعوب من الشُّرك والجهل واستبدال النُّظُم الشَّيطانيَّة بنظام الدِّين الحنيف.

والعدوُّ يعلم ما لنفوذ هذه القيادة من تأثير كبير على صعيد توعية الشُّعوب واستنهاضها لمواجهة القوى المستبدة وإرشادها لرفض العبوديَّة لغير الله. من هنا كان يركِّز كثيراً على بطلان التَّشكيك في أصالة مبدأ ولاية الفقيه على المستوى الفقهيِّ، مؤكِّداً أنَّ دور ولاية الفقيه جرى

١ - علي الخامنئي: الثَّورة الإسلاميَّة، ص ١٠٦.

٢ - علي الخامنئي: الذين يبلِّغون، ص ٤٠.

٣ - المصدر نفسه: الذين يبلِّغون، ص ١٣٥-١٣٦.

استنباطه من كيان الفقه السياسي الإسلامي ومن كيان الدين وأن الفقهاء عرفوه واعترفوا به على امتداد تاريخ التشيع^(١)، إذ كانت تُنشر دعايات تسعى إلى تحريف موقع الولي الفقيه في النظام ومسؤولياته وصلاحياته منذ بداية الثورة^(٢). واليوم، لا تزال تُطرح بعض الآراء وتثار بعض الشبهات حول صلاحيات الفقيه وحول مفهوم التقيّة وحكم الثورة من أجل إقامة الدين في عصر الغيبة، بل لعلها من أكثر النقاشات السائدة على الساحة الشيعية حالياً.

وإليكم نصيحة من وحي التجربة: الأجدر بمن يريد بيان حقيقة ولاية الفقيه وحثّ الناس على طاعة الفقيه الولي أن يُطلعهم على أدلتها ومبانيها، وأن يقدم الشواهد التي تفيد توفر شروط القيادة والولاية في شخص القائد. وليكن همّ المتصدّي لذلك إظهار الوقائع والحقائق بلسان علمي وعبائر دقيقة مُحكمة بعيدة عن الاكتفاء بالشعارات والعناوين التي تحتمل وجوهاً متعدّدة وتزيد المفاهيم شبهةً وغموضاً وإبهاماً. لأنّ الكلام الركيك غير المبني على رصد الشبهات المحيطة بموضوع ما ومعالجتها لن يفيد في نشر الوعي وبناء اليقين الباعث على الطاعة والانضباط والالتزام الولائي المطلوب. فلا يمكن تصدير اليقين من خلال الخلاصات، بل قد تبني جهلاً. ولذا نجد القائد يهتم كثيراً بكيفية التبیین وضوابطه^(٣)، وهي غير مختصة بموضوع ولاية الفقيه، وإنما نذكرها هنا كمثال.

٢ - ما هو تأثير المصادر الفكرية للثورة في ديمومتها؟

من الواضح أنّ التبليغ الديني لن يصون الأصالة الإسلامية للنظام إلا من خلال الرجوع إلى المصادر الفكرية الأصيلة. وكان الولي الشهيد يؤكد على هذا الأمر. فكثيراً ما كان يشير إلى دور

١ - علي الخامنئي: الثورة الإسلامية، ص ٨٤.

٢ - المصدر نفسه: الثورة الإسلامية، ص ٨٣-٨٤.

٣ - انظر: جهاد التبیین: ص ٣٦، ١٠٣، ١٠٥، والثورة الإسلامية: ص ١٩، وخطاب الولي ٢٠٠٩: ص ٣٥٣.

القرآن الكريم في تخلص الشُّعوب الإسلاميَّة^(١)، وكون الأنس بكتاب الله مظهرًا للاستحكام والمتانة التي تمكّن الشُّعوب من الاستمرار في حركتها ومواجهة التَّحدّيات^(٢). وهذا معروف عن القائد، ولذا سأذكر مثالاً آخر يدلّ على تأثير المصادر الفكرية للثورة في ديمومتها استناداً إلى كلامه.

لاحظوا كلامه حول كتاب «نهج البلاغة» الذي يعدّه دستوراً لها! يقول: «لا شكّ أنّ الثورة الثقافيّة يجب أن تستند إلى المصادر الفكرية التي بيّنها الدّين لنا. فلا يمكننا اليوم أن نقوم بثورة ثقافيّة ونحن لا نريد أن نقدّم مجدّداً المصادر الإسلاميّة الأصيلة، والمتون الإسلاميّة الأوّليّة، ونقدّم ما هو أفضل ممّا هو مطروح الآن، إذ الثورة الثقافيّة التي لا شغل لها بالقرآن، والكتب الحديثيّة - منها «أصول الكافي» و«نهج البلاغة» - ليست بثورة ثقافيّة، بل من الممكن أن تكون بدعة ثقافيّة أو منهجاً جديداً لا يستند إلى الأصول المعتمدة في الإسلام»^(٣).

ويؤكد تأثيره في ديمومة الثَّورة بعبارة صريحة إذ يقول: «إذا أردنا أن نستمرّ بالثَّورة الإسلاميّة - بما تعنيه هذه الكلمة من معنى واقعا - يجب علينا أن نغير الإسلام بأبعاده كلّها اهتماماً، و«نهج البلاغة منها». فعليّنا أن نرجع مجدّداً إلى هذا الكتاب»^(٤).

٣ - ما هو دور الشَّخصيّات العلميّة في التَّبيين المؤثّر في ديمومة الثَّورة؟

إضافةً إلى ذلك يجب ألاّ نغفل عن دور الشَّخصيّات العلميّة والثَّورية في حفظ أثر التَّبيين واستمراريّة الثَّورة، لأنّ هذه الشَّخصيّات هي التي تضمن تلك الأصالة التي يُراد صونها وحفظها. كان السيّد الشهيد يعتبر أنّ معارف هؤلاء العلماء وجهودهم التَّبيينيّة هي الأساس الفكريّ للثَّورة

١ - علي الخامنّي: الأنس بالقرآن الكريم، ص ٢١.

٢ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٣ - علي الخامنّي: ثورة الأنبياء، ص ٣٧-٣٨.

٤ - المصدر نفسه، ص ٥٦.

والثّوريّين. وكان يرى أنّ ثبات الثّوريّين كان نتيجة صحّة أُسسهم الفكريّة وارتباطهم بكتب الشهيد (مرتضى مطهری) ودرايتهم بأفكار العلامة (محمّد حسين الطّباطبائيّ) وكلام الشهيد (محمّد باقر الصّدر) الرّاحل^(١). وقد تحدّث عن الشيخ (محمّد تقی مصباح اليزديّ) أيضًا قائلاً: «نظامنا الإسلاميّ يعتزّ بأنّه يضمّ شخصيّات علميّة وروحيّة عظيمة داخله، كهذه الشخصيّة العزیزة والعظيمة»، واصفًا إيّاه بأنّه «فقيه وفيلسوف ومفكّر وخبير في المسائل الأساسيّة للإسلام»^(٢).

الكلام حول الهدف الثّاني

أمّا الهدف الثّاني، وهو تفريغ النّظام من مضمونه، فنستطيع أن نعبر عنه بتغيير سيرة الثّورة واستبدال خطّ الإمام الخمينيّ بنهج آخر.

١ - الثّورة حركة مستمرة

أول خطوة في طريق التّصدّي لذلك هو التّأكيد على كون الثّورة غير منتهية. يقول الشهيد القائد في هذا المجال: «إنّ حركة الثّورة الإسلاميّة هذه ليست حركة منقضية ومنتهية. نحن -أنا وأنتم- نحضّر ونشارك ونربط في جانب معيّن وزاوية محدّدة من زوايا جيشها، وبمثابة ذرّة منها، بوصفنا أصحاب أدب وثقافة: ﴿وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾؛ جنود الله وجيشه لا يعرفون أرضًا ولا سماءً: ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. الله عزيز، ومعنى «العزیز» هو الغالب الذي لا يُغلب، أي الغنيّ عن الجميع، وأنا وأنتم نتولّى اليوم جانبًا بسيطًا من الأمر. فالحركة العظيمة التي بدأت بالثّورة الإسلاميّة، حركة غير متناهية؛ إنّها غير منتهية على الإطلاق، بل هي حركة مستمرة»^(٣).

١ - علي الخامنئي: جهاد التبیین، ص ١٤٦.

٢ - المصدر نفسه، ص ١٤٨.

٣ - عليّ الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص ٤٠٥.

٢ - أصول الثورة

بعد ذلك ينبغي بيان أصول الثورة الإسلامية. وقد تضمّنها البحث إجمالاً إلى هنا، لكن من باب الالتزام بكلمات القائد نستشهد بقوله: «أصول الثورة معروفة، أصول الثورة ليست شؤوناً ذوقية، حتى يخرج كلّ يوم شخص من هنا أو هناك، ويرفع راية الأصول والمبادئ، ثمّ حين ننظر في هذه الأصول، نراها أجنبية على الثورة. إنّ أصول الثورة هي: الإسلام، والدستور، وتوجهات الإمام، ووصية الإمام [الخميني]، والسياسات العامة للنظام، المحددة في الدستور والتي يجب تدوينها»^(١). هذه هي أصول الثورة، وكما قال الوليّ الشهيد فهي معروفة، وهي تمثل سيرة الثورة فعلياً التي يجب حفظها.

٣ - الحفاظ على سيرة الثورة

ثمّ ماذا عن حفظ سيرة الثورة وأصولها والمعايير والمؤشرات الدالة على تحجّر وانحراف الثورة أو بقائها واستمرارها؟ يصرّح الوليّ الشهيد بأنّ حفظ سيرة الثورة ومبادئها هو سبب النجاح ومعيّاره. يقول: «أينما نجحنا في السابق، كان السبب أنّنا احترّمنا مبادئ الثورة والتزمنا بها، وأينما واجهنا الفشل، كان السبب أنّنا انحرفنا بقدر معين عن المبادئ والأسس الإلهية والثورية والإسلامية. تقدّمنا ببركة مبادئ الثورة الإسلامية»^(٢). وللقائد الشهيد حديث جامع في هذا المجال يبيّن مختلف زوايا القضية ويبرز عوامل ومعايير استمرار الثورة وبقائها.

يقول إنّ روح النظام هي «مبادئ الجمهورية الإسلامية: العدالة، وكرامة الإنسان، وحفظ القيم، والسعي لتكريس الأخوة والمساواة، والأخلاق، والصمود حيال نفوذ الأعداء. هذه هي عناصر البنية الحقيقية والداخلية لنظام الجمهورية. إذا ابتعدنا عن الأخلاق الإسلامية، وإذا نسينا العدالة،

١ - عليّ الخامنئي: خطاب الوليّ (٢٠٠٩)، ص ٤٤٢.

٢ - عليّ الخامنئي: الثورة الإسلامية، ص ٩٦.

وتركنا شعار العدالة لأغبرة العزلة، وإذا استهنا بالحالة الشعبية لمسؤولي البلاد، وإذا نظر مديرو إيران ككثير من مديري البلدان الأخرى للمسؤولية كوسيلة وكمصدر ثروة وسلطة، وإذا غابت هموم الخدمة والتضحية من أجل الشعب عن أذهان المسؤولين وممارساتهم، وإذا أُقصيت وأُغيت وطُردت من أذهان المديرين النزعة الشعبية والتبسط في العيش واعتبار أنفسهم في مستوى عموم الناس، وإذا نُسيّت المقاومة إزاء تطاول العدو وتجاوزاته، وإذا ساد الخجل والتردد وضعف الشخص أو ضعف الشخصية على العلاقات السياسية والدولية لدى مسؤولي البلاد، إذا فقد أو ضعف هذا اللبّاب الحقيقي وهذه العناصر الرئيسة من هوية الجمهورية الإسلامية الواقعية، فإن البنية الظاهرية للجمهورية الإسلامية لن تستطيع فعل الكثير ولن تؤثر كثيراً^(١). ومعنى ذلك أنها ستصاب بالركود والتحجر ولن تصل إلى أهدافها المنشودة. وقد تضمّن كلامه إشارات إلى الهدف الثالث للعدو أيضاً، فالتفت.

٤ - خط الإمام الخميني وشخصيته

المُرَاد بـ«خط الإمام» (الخميني) نهجه ومساره الثوري في مقابل سائر الخطوط التي كانت موجودة في ظل انتصار الثورة الإسلامية، إذ كان لا بُدّ من احتواء الثورة والحفاظ على أصالتها. ويذكر أحد كبار علماء هذا النهج أنه «ظهر مصطلح «خط الإمام» لأول مرة عند احتلال السفارة الأمريكية من قبل الطلبة المسلمين الذين سمّوا أنفسهم بـ«الطلبة السائرين على خط الإمام». ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة، إلّا أنّ مضمون خط الإمام والمحتوى السياسي والفكري لهذا المصطلح كان موجوداً في عمق الثورة قبل ذلك بزمان بعيد»^(٢). إذاً، خط الإمام (الخميني) هو جزء لا يتجزأ من سيرة الثورة، بل هو زبدتها وخلاصتها. وطبع

١ - علي الخامنئي: الثورة الإسلامية، ص ٩١-٩٢.

٢ - محمد مهدي الآصفي: دروس من الثورة الإسلامية في إيران، ص ١٩١-١٩٢.

الحال أن كونه خطأ يكفي شاهداً على مدخليته في موضوع البحث حول ديمومة الثورة. ومع كلّ الوضوح الذي كان الإمام (الخميني) يتمتع به في فكره وسلوكه ومبادئه وأهدافه عمل الأعداء والمعرضون بشكل خاصّ على تحريف نهجه وشخصيته. يقول الوليّ الشهيد: «إذا شاء شعب إيران أن يصل إلى تلك الأهداف ويواصل هذا الدرب فيجب عليه معرفة طريق الإمام (الخميني) الجليل معرفة صحيحة، ومعرفة أصوله ومبادئه معرفة صائبة، وألا يسمح بتحريف شخصية الإمام (الخميني)، فتحريف شخصية الإمام (الخميني) هو تحريف لدرب الإمام وتحريف للصراط المستقيم الذي يسير عليه شعب إيران»^(١). بالتّالي، فإنّ دراسة خطأ الإمام وبيان معالمه وأهدافه ومكاسبه من أهمّ ما يمكن فعله في كلّ مرحلة من مراحل المسيرة نحو الحضارة الإسلامية، والالتزام به يعدّ من أمارات حياة الثورة الإسلامية وموتها.

الكلام حول الهدف الثالث

أمّا الهدف الثالث، والذي يصفه القائد بأنّه عبارة عن دسّ عناصر من ذوي النفوس الضّعيفة في الحكم والاستفادة منهم، فتوضيحه أنّ العدو إذا وجد نفسه عاجزاً عن إسقاط النظام الإسلاميّ وعن تفرّغه من مضمونه من أجل تغيير مسار الثورة، فإنّه يلجأ حينئذٍ إلى أسلوب آخر وهو تمكين أشخاص، لا تؤمن أو تعمل وفق نهج الاقتدار، من الوصول إلى موقع المسؤولية، أي إنّّه يقصد بكونها «ضعيفة» أنّها لا تملك الرّوح الثّوريّة. نطلق في هذا التّفسير من اعتقاد الوليّ الشهيد بأنّ ما يشكّل الاقتدار ثلاثة عوامل: الرّوح الثّوريّة والاقتصاد القويّ المقاوم والعلم المتقدّم المتزايد^(٢)، في حين أنّه من الواضح أنّ الرّوح الثّوريّة أساس العاملين الثاني والثالث. فالرّوح الثّوريّة هي مفتاح إفشال الهدف الثالث.

١ - علي الخميني: الثورة الإسلامية، ص ١٨٢.

٢ - علي الخميني: خطاب الولي (٢٠١٥)، ص ٦٠٨.

١ - معنى الروح الثوريّة

الروح الثوريّة هي تلك القوة الذاتيّة والإيمان بالنفس الباعث على الإرادة العمليّة وعلى حفظ الاستقلال في المسار وصون الأصالة في التوجّه. يسمّيها القائد أيضاً: «روح التّعبئة، وروح الشّبّاب المبتكر والرائد الواصل بنفسه»^(١). ويعرّفها قائلاً: «معناها أن يكون الإنسان الثوريّ شجاعاً ومن أهل الإقدام ومن أهل العمل ومن أهل الابتكار، وأن يحطّم الطُّرق المسدودة ويفتح العقْد، ألاّ يهاب شيئاً ويتفّاعل بالمستقبل ويسير وثقاً بالله نحو المستقبل المشرق»^(٢). فالروح الثوريّة هي الضّامن الوجدانيّ لبقاء النّمودج الإسلاميّ والثوريّ الموصل للحضارة الإسلاميّة، في قبال الاندماج بالحضارات الأخرى.

٢ - الروح الثوريّة وديمومة الثورة

إذاً، لا شكّ أنّ للروح الثوريّة مدخليّة في ديمومة الثورة، فإنّها تشكّل مناعة سياسيّة واجتماعيّة من نفوذ الأعداء. بل يصرّح القائد الشّهيد بأنّه إذا لم تكن روح ثوريّة فلن تكون هناك جمهوريّة إسلاميّة!^(٣). لذا كان يخاطب مجلس الشورى الإسلاميّ والسّلطة التشريعيّة والأجهزة الحكوميّة في مجال التّنفيذ وعموم المسؤولين على اختلاف صنوفهم في القطاعات والمؤسّسات المتنوّعة بأنّ العمل الأساسي الذي يجب على الجميع هو أن يقوّي ذاته ويصمد في قبال الأعداء وأن يواصل الكفاح والنّضال الذي أفضى إلى انتصار الثورة وإلى بقائها واستمرارها»^(٤).

وأما على الصّعيد الاجتماعيّ فدور الروح الثوريّة لا يحتاج إلى تفصيل بلحاظ كونه مرادفاً لـ «روح التّعبئة» كما تقدّم، وبلحاظ أنّه لا بدّ من العنفوان بين أبناء المجتمع الإسلاميّ لصون

١ - عليّ الخامنئيّ: خطاب الوليّ (٢٠١١)، ص ٤٧٠.

٢ - عليّ الخامنئيّ: الثوريّ الأمثل، ص ٤١٠.

٣ - المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

٤ - عليّ الخامنئيّ: الحياة بأسلوب جهاديّ، ص ٦٨.

ما تحقّق في مسيرتهم الحضاريّة منذ بلورة الثّورة الإسلاميّة ووصولاً إلى حاضرهم، لثلاً تذهب ربحهم ويعجزوا عن العبور إلى صناعة حضارتهم الجديدة بعد كلّ التّضحيات. وهذه الصّيانة تحتاج إلى بقاء الرّوح الثّوريّة في المجتمع، الذي يقول القائد إنّهُ يتجلّى في بقاء أركان الإسلام وشروطه وفكر النّبيّ الأعظم ﷺ^(١).

٣ - أثر التّبيين في تقوية الرّوح الثّوريّة

لا شكّ أنّ جهاد التّبيين من أهمّ وسائل تقوية الرّوح الثّوريّة وتحقيق غاياتها، والتي منها ديمومة الثّورة ومنع ركودها وتراجعها. وذلك من خلال عاملين أساسيين: الوضوح والعاطفة. وهذا ما أكّد عليه الوليّ الشّهيد في توجيهاته.

أمّا عامل الوضوح، فحكّمته لا تخفى، إذ ليس الهدف من التّبيين سوى رفع المستوى الإدراكيّ للنّاس وتعريفهم على الحقائق ورفع أسباب الجهل عنهم وبيان الواقع لهم. وبكلمة: الوضوح يمنع من وقوع النّاس في الشّبهة، إذ ما هي الشّبهة؟ يعرفها القائد بأنّها "تعبّر عن اختلاط الحقّ والباطل في ذهن الإنسان وفكره، بحيث يؤمن المجتمع بأُمور خاطئة لا واقع لها، ويُنكر الواقعيّات الواضحة البيّنة"^(٢). وهذا له مجالات عدّة، منها:

■ السّياسة، إذ يؤكّد القائد على ضرورة الصّراحة والشفافيّة لدى المسؤولين، وما لها من دور في ديمومة الثّورة. يقول: «السّرّ في بقاء نظام الجمهوريّة الإسلاميّة على درب الثّورة والخطوط الأصليّة للإمام (الخميني) الجليل هو هذه الصّراحة. يجب عدم التّخلّي أبداً عن هذه الشّفافيّة والصّراحة. يجب أن تكون مواقف الجمهوريّة الإسلاميّة

١ - علي الخامنّي: تفسير سورة براءة، ص ٤٨٠.

٢ - علي الخامنّي: ثورة الأنبياء، ص ١١٩.

شفافة أمام المعارضين وأمام الأصدقاء والأعداء»^(١).

■ الإعلام، إذ يقول القائد: «إنّ العمل الإعلامي في جهاز الحق له أهميّة فائقة. وغاية الأمر أنّ تيّار الحق مكتوف في الإعلام؛ فلا يمكنه استخدام أيّ أسلوب وأيّ وسيلة كانت. فهو لا يبيّن سوى الحق والواقع. هناك أشياء تكون مرغوبة عند الناس، والتيّار الباطل لا يأبى أبداً أن يظهرها كما يحبّ الناس، لكنّ تيّار الحق لا يمكنه ذلك، بل يبيّن الحق ولو كان مرّاً»^(٢).

■ الاستدلال، إذ يذكر القائد ما لاختيار الأدلة الواضحة من تأثير في صناعة الفهم الصحيح للأمور والبصيرة الثاقبة في القضايا قائلاً: «البيّنات والواضحات التي يمكن لكل عقل أن يقبلها هي أفضل الاستدلالات لتحريك الناس في أيّام الثورة وإطلاعهم على ما يجري عليهم، وتعريفهم بالطريق الخاطئ الذي يسرون فيه، وبيان الطريق الذي يجب أن يسلكوه»^(٣).

وأما عامل العاطفة، فتكفي إشارة الولي الشهيد في موارد عدّة إلى دور العواطف النابعة من المعرفة السليمة في مواصلة طريق الكفاح السياسي وبقاء الفكر الإسلامي الأصيل وإحياء الروح الثوريّة^(٤). وهنا يأتي دور الخطباء مثلاً، وكذلك الشعراء والفنّانين الذين يقول لهم صراحة إنّ «الوظيفة الأهمّ هي التبليغ والتبيين»^(٥).

١ - علي الخامنئي: الثورة الإسلامية، ص ١١٦.

٢ - علي الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص ١٨٧-١٨٨.

٣ - علي الخامنئي: ثورة الأنبياء، ص ١٢٠.

٤ - علي الخامنئي: جهاد التبیین، ص ١٤١.

٥ - علي الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص ٤٠٤.

لائحة المصادر والمراجع

- علي الخامنئي: الأنس بالقرآن الكريم، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- علي الخامنئي: الثورة الإسلامية، دار الوفاء للثقافة والإعلام، إيران، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- علي الخامنئي: الثوري الأمثل، دار الوفاء للثقافة والإعلام، إيران، ط ١، ٢٠٢٣ م.
- علي الخامنئي: الحياة بأسلوب جهادي، دار الوفاء للثقافة والإعلام، إيران، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- علي الخامنئي: الذين يبلغون، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠١٢ م.
- علي الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٥ م.
- علي الخامنئي: تفسير سورة براءة، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٢٠ م.
- علي الخامنئي: ثورة الأنبياء (ع)، مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، طهران، ط ٢، ٢٠٢٤ م.
- علي الخامنئي: جهاد التبیین، مؤسسة الثورة الإسلامية للثقافة والأبحاث، طهران، ط ١، ٢٠٢٢ م.
- علي الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩-٢٠١٩)، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٢١ م.
- علي الخامنئي: رسالة المعلم، دار المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٢٠ م.
- محمد بن يعقوب الكليني: الأصول من الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٤٠٧ ق.
- محمد مهدي الآصفي: دروس من الثورة الإسلامية في إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٢١ ق.